سورة الناس

مدنية، ست آيات، عشرون كلمة، تسعة وتسعون حرفاً

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{قُلْ} يا أشرف المرسلين {أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ} أي ألتجىء بمصلح الناس والقائم بتدبيره، وذكر الله أنه رب الناس على التخصيص مع أنه رب جميع المحدثات، لأن الاستعاذة وقعت من شر الموسوس في صدور الناس، فكأنه قيل: أعوذ من شر الموسوس إلى الناس بربهم، وهو معبودهم. وقرىء في السورتين بحذف الهمزة ونقل حركتها إلى اللام، {مَلِكِ ٱلنَّاسِ} عطف بيان، جيء به لبيان أن تربيته تعالى إياهم بطريق الملك الكامل والتصرف الكلي لا بطريق تربية سائر الملاك لمماليكهم، ولا يجوز ههنا «مالك الناس» بإثبات الألف بخلاف {مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ} في سورة الفاتحة (الآية: 4) والفرق أن قوله: {رَبِّ ٱلنَّاسِ} أفاد كونه مالكاً لهم فلا بد وأن يكون المذكور عقبه هذا الملك ليفيد أنه تعالى مالك وملك معاً، فإن قيل: أليس قال تعالى في سورة الفاتحة: {رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ} (الآية: 2) ثم قال: {مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ} (الآية: 4) فيلزم وقوع التكرار هناك قلنا: اللفظ دل على أنه رب العالمين، وهي الأشياء الموجودة في الحال، وعلى أنه مالك ليوم الدين، فهناك «الرب» مضاف إلى شيء موجود الآن، و «المالك» مضاف إلى شيء يوجد في الآخرة، فلم يلزم التكرير، فظهر الفرق، وأيضاً فإن جواز القراءات يتبع النزول لا القياس، {إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ} عطف بيان جيء به لبيان أن ملكه تعالى بطريق المعبودية المؤسسة على الألوهية المقتضية للقدرة التامة على التصرف الكلي فيهم إحياء وإماتة، وإيجاداً وإعداماً، فوصف الله أولاً بأنه رب الناس، ثم الرب قد يكون ملكاً وقد لا، فبين بقوله ملك الناس، ثم الملك قد يكون إلٰهاً وقد لا، فبين

بقوله {إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ} لأن الإله خاص بالله تعالى لا يشركه فيه غيره، وأيضاً إن أول ما يعرف العبد من معبوده كونه معطياً لما عنده من النعم الظاهرة والباطنة، وهذا هو الرب، ثم ينتقل من معرفة هذه الصفة إلى معرفة استغنائه عن الخلق، فيحصل العلم بكونه ملكاً، لأنه هو الذي يفتقر إليه غيره ويستغني عن غيره، ثم عرف العبد أنه هو الذي ولهت العقول في عزته وعظمته، فيعرف أنه إلٰه حقيقة {مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ} بفتح الواو هو بمعنى الموسوس وهو الشيطان {ٱلْخَنَّاسِ} أي الذي يتأخر عند ذكر الإنسان ربه والوقف هنا كاف لمن رفع ما بعده أو نصبه على الشتم، ولا وقف هنا لمن جعل ما بعده نعتاً للوسواس، {ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ} أي في قلوب الغافل عن ذكر الله، وسقوط الياء عن الناس كسقوطها في قوله تعالى: {يَوْمَ يَدْعُو ٱلدَّاعِ} (القمر: 6) {مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ} بيان للناسي عن ذكر الله فإنهما النوعان الموصوفان بنسيان حق الله تعالى، وعلى هذا لا يحتاج إلى تكلف بعض العلماء من جعل قوله: {مِنَ ٱلْجَنَّةِ} بياناً للوسواس، وجعل قوله: {وَٱلنَّاسِ} عطفاً عليه، فكأنه قيل: من شر الوسواس الذي يوسوس، وهو الجن ومن شر الناس اه. ومن جعل قوله تعالى: {مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ} عطفاً على {ٱلْوَسْوَاسِ} بتقدير حرف العطف. فالمعنى: قل أعوذ برب الناس من الوسواس الخناس ومن الجنة والناس، كأنه استعاذ بربه من الشيطان الواحد، ثم استعاذ بربه من جميع الجنة والناس، وفي هاتين السورتين لطيفة وهي أن المستعاذ به في السورة الأولى مذكور بصفة واحدة، وهي أنه رب الفلق والمستعاذ منه ثلاثة أنواع من الآفات: وهي الغاسق، والنفاثات، والحاسد. أما في هذه السورة المستعاذ به مذكور بصفات ثلاثة: وهي الرب والملك والإلٰه والمستعاذ منه آفة واحدة، وهي الوسوسة، والفرق بين الموضعين أن الثناء يجب أن يتقدر بقدر المطلوب، فالمطلوب في السورة الأولى: سلامة النفس والبدن، والمطلوب في السورة الثانية: سلامة الدين. وهذا تنبيه

على أن مضرة الدين وإن قلت أعظم من مضار الدنيا وإن عظمت. والله أعلم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وقد انتهى ما من الله به علينا من المعاني الميسرة والألفاظ المسهلة في خامس ربيع الآخر

ليلة الأربعاء عام سنة 1305 ألف وثلاثمائة وخمسة على يد الفقير إلى

الله تعالى محمد نووي غفر الله له ولوالديه ولمشايخه ولإخوانه

المسلمين. وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى أله

وصحبه أجمعين. والحمد لله رب

العالمين. آمين